https://www.doi.org/10.31918/twejer. 2361.32

e-ISSN (2617-0752) p-ISSN (2617-0744)

مسوغات مصدرية السيرة النبوية لتفسير القرآن الكريم
دراسة تحليلية

محسن رشيد جعفر أ. م . د. سردار حمد امين ابراهيم

طالب الماجستير– قسم الدراسات الاسلامية قسم التربية وأصول الدين

كلية العلوم الاسلامية / جامعة صلاح

muhsin.jaafar@su.edu.krd sardar.ibrahimq@su.edu.krd

الملخص

هذا البحث جزء من رسالة ماجستير الموسومة بـ (الاستعانة بالسيرة النبوية لبيان تفسير القرآن الكريم)، ويأتي بهدف إلقاء الضوء على المسوغات الدالة على مصدرية السيرة، فنعني بالمسوغات الأدلة التي تثبت اشتراك السيرة النبوية ومروياتها في تفسير القرآن الكريم مع المصادر الأخرى كالقرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين.

وقد تمّ الاعتماد على المنهج التحليلي القائم على التوضيح والاستنباط، بجمع المعلومات المتعلقة بعلم السيرة، مع تصنيفها وتحليل جزئياتها المتعلقة بموضوع البحث، وذلك من خلال إيراد أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار تاريخية، ومن ثَمَّ تحديد العلاقة بين السيرة والسنة الفعلية التطبيقية التي تعد التفسير العملي للقرآن الكريم من قِبل النبي (ﷺ)، وكذا العلاقة بين السيرة والعلوم الأخرى التي يرجع إليها المفسرون لتحديد مفهوم النص بمراعات دلالة النصوص التي تسبقه والنصوص التي تليه أو من خلال سياقه التاريخي، كعلم أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني والناسخ والمنسوخ، والإشارة إلى جهد علماء السيرة في بيان معاني الآيات من خلال مرويات السيرة الذي أدى إلى اعتماد المفسرين على مروياتهم وأقوالهم التفسيرية.

الكلمات المفتاحية : مسّوغات، مصدريّة السيرة، التفسير، القرآن الكريم.

مسوغات مصدرية السيرة النبوية لتفسير القرآن الكريم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آلـه وأصحابه وأزواجه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان وإيمان الى يوم الدين، أما بعد:

فإن السيرة النبوية تُعدّ مصدراً أساسياً من مصادر التفاسير المأثورة للقرآن الكريم, وإنها ذات أهمية بالغة في توسيع أفق أفكار المفسرين، وإثراء تفسيرهم للآيات القرآنية الشريفة، لأنّ دراستها والعناية بها تساعد على الفهم الدقيق للقرآن الكريم، وتُسهّل تذوّق روح الآيات و مقاصدها؛ إذ لا يمكن فهم كثير من الآيات بمعزلٍ عن البيئة التي نزلت فيها والظروف والملابسات والقرائن التي شهدت نزولها.

يرجع تاريخ العناية بالسيرة النبوية والاهتمام بتسجيل وقائعها إلى عهد الصدر الأول للإسلام؛ فقد واظب الصحابة الكرام وتابعوهم على العناية بتسجيل أحداث السيرة النبوية، ووظّفوها على أولادهم بمدارستها وحفظها، وقاموا بتربية الناشئين عليها، واستمرت عملية الاهتمام بالسيرة حتى أن بلغت في النموّ والتقدّم ذروتها في عصري الأموي والعباسي؛ فتوسّعت آفاقها وتنوّعت أساليب كتابتها، وبرزت مؤلفاتٌ جامعة لجميع أطوار السيرة النبوية، مبيّناً عناصرها وموضوعاتها من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية, وتوظيف الآراء التفسيرية لتلك الآيات.

فكان جُلّ اهتمامهم بالسيرة مستسقاةٌ من المنهج الذي سار عليه النصوص القرآنية في عرض أحداث السيرة؛ وكذا من وعيهم المعرفي تجاه ضرورة الرجوع الى السيرة النبوية في فهم القرآن الكريم، مع حسن تذوقهم واستيعابهم لمقاصد الله تعالى في نزول الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية؛ ومن هذا المنطلق ظهر اعتمادهم بالدرجة الأولى على القرآن الكريم باعتباره المصدر الأوثق والأصح للتطلع على وقائع السيرة وأحداثها.

وقد تلقّتِ السيرة اعتنائها من قِبل العلماء في حسن انسجامها مع كثير من العلوم التي تُعينُ على فهم القرآن الكريم، كعلوم القرآن وما ينطويها من المباحث ذّات الصّلة المباشرة بالسيرة النبوية كتاريخ نزول القرآن وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتاريخ تشريع الأحكام، كما أنها تستوعِب الجانب التطبيقي لحياة النبي (ﷺ) التي تَندرج تحت السنة النبوية، بالإضافة إلى كونها رصداً تاريخياً للأحداث والوقائع التي يمكن من خلالها معرفة دلالة السياق القرآني وكشف أسماء الأشخاص والأعيان الذين نزلت من شأنهم الآيات دون ذكر أسماءهم وتفاصيل أحوالهم من خلال الرجوع إلى السياق الزمني للقرآن التي تنهض ببيانها علم أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني.

أهمية البحث:

لم يأت هذا البحث لسرد مشاهد السيرة النبوية وأحداثها؛ وإنما جاء لمعالجة المواد الأولية لبيان الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية، واتخاذ السيرة في صنف المصادر التي تؤدي إلى تسهيل عملية تفسير القرآن الكريم، وهذه هي النقطة الجوهرية التي تُميّزُ هذا البحث عن غيره وتبيِّن أهميته وهي الغاية المرجوة من إجرائه.

مشكلة البحث :

نظراً لأهمية الرجوع إلى السيرة النبوية لبيان دلالة الآيات القرآنية التي تختبئ في سياقها خلفية تاريخية، ظهرت الحاجة إلى هذه الدراسة في كونها سبباً لبيان المسوغات الدالة على مصدرية السيرة في تفسير تلك الآيات، وبيان السياق الزمني للقرآن الكريم والخلفيات التاريخية التي تتضمنها بعض الآيات، فمن هذا المنطلق جاءت فكرة دراسة هذا الموضوع بهدف الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي :

ما هي المسوّغات الدالة على مصدرية السيرة النبوية لتفسير القرآن الكريم؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الآتية:

كيف تندرج السيرة ضمن المصادر التي يمكن الرجوع إليها في تفسير القرآن الكريم؟

ماهي أوجه الاتفاق والاختلاف بين السيرة والسنة النبويتين؟ وأيهما أشمل ؟

ماهي دور السياق التاريخي للآيات القرآنية في بيان معاني القرآن؟ وهل هناك علاقة بين السيرة وأسباب النزول؟ والسيرة ومعرفة المكي والمدني؟

ماهي الأطوار التي مرت بها كتابة السيرة ؟ وكيف كان تدوين السيرة في بادئ الأمر؟

هل كان للأسلوب القرآني المجمل أثر على المفسرين بالاستعانة بمرويات السيرة في تفسير القرآن؟

هل هناك دليل على اعتماد المفسرين على مرويات أهل السير؟ وهل يعد ذلك في صنف المسوغات الدالة على مصدرية السيرة؟

الدراسات السابقة : تسبق هذا البحث دراسات ذات صلة بموضوعه، وقد تمت الاستفادة من بعضها لسهولة تناولها، وعدم الاستفادة من دراسات أخرى لتعذر الحصول على محتواها، ومن تلك الدراسات:

من مصادر التفسير السيرة النبوية، د. عصام بن عبد المحسن الحميدان، بحث منشور في مجلة الحكمة بالمدينة المنورة، العدد٢٧، السنة ٢٠٠٣م، تناول فيه الباحث الآيات المتعلقة بالسيرة النبوية مع عقد مقارنة بين كتب السيرة وتفسيري الطبري وابن أبي حاتم في مقدار الآيات التي استدلوا بها، وأثر كتب السيرة في تفسير الطبري وابن أبي حاتم، مع الإشارة إلى أمور أخرى كضوابط التفسير بالسيرة.

منهج المفسرين في كتابة السيرة النبوية الطبري أنموذجا، رياض هاشم هادي، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية بجامعة موصل،العدد٥، السنة ٢٠٠٩م، سلط الضوء فيه على دور علماء التفسير في كتابة السيرة، قام بعرض

تاريخي لأقدم المفسرين الذين أوردوا مرويات السيرة في تفاسيرهم بدأ بالطبري ثم الرازي ثم السمرقندي وانتهاءً بابن كثير.

السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، د. عصام بن عبد المحسن الحميدان، بحث مقدم في ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة سنة ٢٠١٠م، تناول فيه بيان العلاقة المتبادلة بين كتب السيرة والتفاسير بالمأثور من حيث تناول الروايات المتعلقة بالسيرة، وقد بين ذلك من خلال الاستشهاد بآيات قرآنية استشهد بها علماء السيرة والمفسرون في نفس الوقت وفي نفس السياق.

أقوال ابن هشام المعافري في التفسير، عبدالله عبده العواضي، بحث مقدم لنيل درجة ماجستير في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بجمهورية سودان سنة ٢٠١٨م، عرض فيه أقوال ابن هشام المعافري التفسيري ومقارنتها مع آراء المفسرين، وأثر أقوال ابن إسحاق في كتاب السيرة النبوية لابن هشام.

السيرة النبوية والتفسير بالمأثور، أيكوت كايا، بحث منشور في مجلة (Islami Ilimler Dergisi) العدد١٤، السنة ٢٠١٩،انحصر فيه الباحث على بيان العلاقة بين السيرة النبوية والتفسير بالمأثور، وذلك من خلال بيان المراد بكل من السيرة والتفسير، وإيضاح العلاقة القائمة بينهما.

مناهج المفسرين في الاعتماد على السيرة النبوية في التفسير, أيكوت كايا، أطروحة دكتوراه ، بعد بذل جهد كبير من المواقع لم أستطع الحصول إلاّ على غلافها الخارجي لعدم نشرها وتعذر تناولها.

الفرق بين هذا الباحث والدراسات السابقة أن هذا البحث يركز على المسوغات والأدلة التي تثبت ضرورة الرجوع إلى السيرة النبوية وجعلها مصدراً من مصادر تفسير القرآن الكريم بجوار المصادر الأخرى كالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وقد تمّ بيان ذلك من خلال إيراد أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار تاريخية، ومن ثَمَّ تحديد العلاقة بين السيرة والسنة الفعلية التطبيقية التي تعد التفسير العملي للقرآن الكريم من قِبل النبي (ﷺ)، وكذا العلاقة بين السيرة والعلوم الأخرى كعلوم القرآن وما يتفرع منها كعلم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومعرفة المكي والمدني التي يرجع إليها المفسرون لتحديد مفهوم النص

بمراعات دلالة النصوص التي تسبقه والنصوص التي تليه أو من خلال سياقه التاريخي، والإشارة إلى جهد علماء السيرة في بيان معاني الآيات من خلال مرويات السيرة الذي أدى إلى اعتماد المفسرين على مروياتهم وأقوالهم التفسيرية.

أهداف البحث : يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

التعرف على المسوغات الدالة على مصدرية السيرة النبوية لتفسير القرآن الكريم.

إيراد أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء على ضرورة الرجوع إلى السيرة النبوية في بيان الأحداث التي نزلت من أجلها الآيات القرآنية.

تحديد النقاط المشتركة بين علم السيرة ومروياتها مع السنة النبوية والعلوم الأخرى الضرورية لبيان دلالات السياق القرآني كعلم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني، ومن ثمّ التأكّد على مصدرية السيرة في تفسير القرآن الكريم.

إيراد عدد من المرويات التي تتحدث عن الأحداث والوقائع المؤثرة لنزول الآية، والأسباب والدوافع الحافزة لظهور النص كمسوغات لمصدرية السيرة، لاستعانة المفسرين عليها في توثيق آراءهم التفسيرية.

منهج البحث :

وقد تمّ الاعتماد على المنهج التحليلي القائم على التوضيح والاستنباط، بجمع المعلومات المتعلقة بعلم السيرة، مع تصنيفها وتحليل جزئياتها، وذلك من خلال إيراد أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار تاريخية، ومن ثَمَّ تحديد العلاقة بين السيرة والسنة الفعلية التطبيقية التي تعد التفسير العملي للقرآن الكريم من قِبل النبي (ﷺ)، وكذا العلاقة بين السيرة والعلوم الأخرى كعلوم القرآن التي لا بدّ من الرجوع إليها لتحديد مفهوم النص بمراعات دلالة النصوص التي تسبقه والنصوص التي تليه أو من خلال سياقه التاريخي، الذي أدى إلى اعتماد المفسرين على مروياتهم وأقوالهم التفسيرية.

خطة البحث :

اقتضى العمل البحثي تقسيم الدراسة على مبحثين، مقسماً المبحث الأول على أربع مطالب، والمبحث الثاني على ثلاث مطالب، مسبوقاً هذين المبحثين بمقدمة، وتوطئة، ومنتهياً بخاتمة تنطوي على أهم النتائج التي تؤخذ من البحث، وتم تقسيم المبحثين بالشكل الآتي:

المبحث الأول : أهمية السيرة النبوية كمصدر من مصادر التفسير:

المطلب الأول: مشاركة السيرة مع السنة في تفسير القرآن الكريم:

المطلب الثاني : الصلة بين أسباب النزول والسيرة النبوية :

المطلب الثالث : مرجعية السيرة في معرفة أصول التفسير :

المطلب الرابع :دلالة السياق القرآني وأثرها في تفسير القرآن الكريم:

المبحث الثاني: السيرة النبوية كأساس تأريخي لتدوين التفسير:

المطلب الأول : إرهاصات الاعتماد على السيرة في تفسير القرآن الكريم:

المطلب الثاني: مرحلة تدوين السيرة وانفصالها عن السنة النبوية:

المطلب الثالث: استعانة كبار المفسرين بمرويات أهل السير:

التوطئــة : تعريف السيرة والسنة واختلاف المحدثين والأصوليين في مفهوم السنة:

تمّ تشكيل هذه التوطئة لتعريف مصطلحي السيرة النبوية والسنة باختصار، مع بيان الفرق بينهما،

كمدخل للولوج إلى موضوع البحث بالشكل الآتي:

أولاً: تعريف السيرة النبوية: العلم الذي يبحث في حياة النبي (ﷺ) من مولده إلى وفاته، والأحداث التي وقعت في حياته أو سبقت ولادته بزمن قريب، مع التعرف بنسبه الشريف، ونشأته، وبعثته، ومعجزاته، ومراحل دعوته، وأخلاقه، والغزوات التي خاضها (ﷺ) . ينظر: (هرماس، ط١، ٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ صفحة ١٣)

ثانياً: تعريف السنة : اختلف علماء الحديث مع علماء الأصول في تعريف السنة فعّرف كل منهم حسب الأغراض التي تعنى بها كل فئة من أرباب العلم.

تعريف السنة عند المحدّثين : " ما أضيف إلى النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقيةٍ أو خُلُقية، أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها". (القاسمي، (د.ط)،(د.ت) صفحة ٨٩)

تعريف السنة عند الأصوليين: "ما ثبت عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير"

يتبين مما سبق أن الأصوليين قد اختلفوا مع المحدثين في تعريف السنة، وأنهم اقتصروا في تعريفها على ما ثبت عنه (ﷺ) بدليل قطعي من قول أو فعل أو تقرير فقط، ولم يندرجوا السيرة ضمن تعريف السنة، ويمكن بيان ذلك من خلال النقطتين الآتيتين:

إن علماء الحديث نظروا إلى النبي (ﷺ) كأسوة يتأسّى به في كلّ ما صدر عنه من قول أو فعل او تقرير أو سيرة أو أخبار أو شمائل أو صفات خَلقية أو خُلقية، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أو لم يثبت، وسواء كانت قبل البعثة أو بعدها.

أمّا علماء الأصول فكانوا يبحثون عنه (ﷺ) كمشرّع للقواعد الشرعية التي تثبت الأحكام وتُقررّه ، فغرض الأصوليين البحث عن المصادر الشرعية التي تؤخذ منها الأحكام الفقهية من قرآن وسنة وإجماع وقياس، لذلك اعتنوا بما يثبت الأحكام الشرعية، فيدخل في ذلك السنة التشريعية فقط دون التصرفات البشرية للرسول (ﷺ) والصفات المختصة به التي تمثل جزءاً كبيراً من السيرة النبوية. ينظر: (الغوري، ط.١ ، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ الصفحات ١٤- ١٥).

بناء على ما سبق يمكن القول: إن السيرة النبوية تشمل جميع ما وصل إلينا من حياة النبي (ﷺ) من بدأ ولادته إلى حين وفاته، سواء ما يتعلق بذكر خصائصه أو شمائله أو فضائله أو دلائل نبوته أو ما يتعلق بتطبيقاته العملية للقرآن الكريم، وهي مأخوذة من السير، ويقصد بها مسيرة النبي (ﷺ) في حياته الشخصية والاجتماعية والأحداث الواقعة قبل ولادته، أو التي كانت له (ﷺ) فيها حضور وتأثير، أما السنة فهي الطريقة التي وضعها النبي (ﷺ) لتكون أسلوباً للحياة الدينية والدنيوي.

ويبدو مما ذهب إليه أهل الحديث أن السيرة تندرج تحت السنة النبوية الشريفة، وأنها جزء منها، لأنها بنظرهم تشمل كل ما يتعلق بحياة النبي (ﷺ) سواء ما كان قبل البعثة أو بعدها كما هو الحال في السنة، فاعتبروا السيرة جزءاً من السنة لأنها عبارة عن الجانب التطبيقي العملي للقرآن الكريم من قبل النبي(ﷺ).

أما علماء الأصول فقد خالفوهم في اعتبار السيرة جزءاً من السنة، بحجة أن السنة يجب فيها أن تكون قطعية الثبوت متصلة السند إلى رسول الله (ﷺ)، لكونها مصدراً من المصادر التي تستنبط منها الأحكام الشرعية، وهذا الشرط يتوفر في السنة الصحيحة ولا يتوفر في مرويات السيرة النبوية، لأن فيها كثيراً من الوقائع والأحداث مروية بغير السند المتصل، ولا سيّما فيما يتعلّق بالروايات التي تتحدث عن الأحداث الواقعة قبل البعثة، وقد كان العلماء يتساهلون في رواية السيرة مالا يتساهلون في رواية الأحاديث التي تتعلق بالأحكام وأمور الحرام والحلال؛ لذلك يقول أحمد بن حنبل : " ثلاثة ليس لها أصل، وفي رواية ليس لها اسناد المغازي، والملاحم، والتفسير". ينظر: (سلامة، ط١، ١٤٣١هـ صفحة ١٢٤)

المبحث الأول

أهمية السيرة النبوية كمصدر من مصادر التفسير:

لبيان أهمية السيرة النبوية كمصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم لا بدّ من التطرق إلى الأمور الآتية من خلال تحليل معطياتها وتحديد مؤشرات الروابط بينهما.

المطلب الأول: مشاركة السيرة مع السنة في تفسير القرآن الكريم:

ذهب العلماء إلى ضرورة الرجوع إلى السنة النبوية في تفسير كثير من الآيات القرآنية، واعتبارها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في بيان كلام الله تعالى, " وقد نصّ العلماء على تقديم دليل السنة على غيره من أنواع الأدلة عدا نصوص القرآن في بيان كثير من معاني الآيات القرآنية ولا سيما الآيات المتعلقة بمسيرة حياة النبي(ﷺ)." (الطيار، ط.١، ٢٠١٧م - ١٤٣٩هـ صفحة ٤٧١)؛ لأن النبي (ﷺ) مأمور ببيان ما تُوهِّم أن فيها نوعٌ من الغموض والالتباس، ومبعوث لتبليغ ما احتاج الناس إلى بيانه، يقول ابن مسعود (رضي الله عنه) : " ما من شيء إلاّ بُيّن لنا في القرآن، ولكن فهمُنا يقصِر عن ادراكه، فلذلك قال تعالى: [بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ][النحل: ٤٤]" (الباتلي، ط.١، ٢٠١١ م - ١٤٣١هـ صفحة ٣٠).

يتبين في الآية الكريمة السابقة أنّ إحدى الوظائف الأساسية للسنة النبوية هي البيان والإيضاح للقرآن الكريم؛ فبيان السنة للقرآن الكريم يكون بما يأتي:

تفسير ما تُوّهم فيه الغموض والالتباس، عندما قلق الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) عن معنى الظلم في قوله تعالى:[الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ][الأنعام:٨٢] أزال النبي (ﷺ) لهم الغموض بتفسيرالظلم بالشرك وليس بمعنى التعدّي على الآخرين والتجاوز على حقوقهم، وبين ذلك بقوله تعالى:[وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] [لقمان:١٣]. ينظر: (كولن، ط.٣، ٢٠٠٥م - ١٤٢٥هـ صفحة ٢٧)

تفصيل مجمل القرآن، مثل بيان تفاصيل كيفية أداء الصلوات، حيث ورد في القرآن الكريم الأمر بإقامة الصلاة:[وأقيموا الصلاة] مجملاً، وقامت السنة بشرح جزئياتها وتفصيل كيفية أداءها. ينظر: (عبد الهادي، (د.ط) ٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ صفحة ١٣٦).

تخصيص بعض الأحكام، قوله تعالى:[يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ] [النساء:١١]، فهذا الحكم عام للجميع، وقد خصّصها السنة بأن القاتل لأبيه يُحرم من الميراث.

تقيد بعض الأحكام كتقييد قطع يد السارق في قوله تعالى:[وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] [المائدة:٨] دون شرح الظروف والشروط التي يجب توافرها عند القطع، ودون ذكر المقدار الذي يقطع من اليد، وقد جاءت السنة بتقييدها، حينما أمر النبي (ﷺ) بقطع يد أحد السراق من الكوع.

فالسيرة ليست أقل شأناً من السنة النبوية من جهة كونها مصدراً من مصادر تفسير القرآن الكريم، فهي جزء من السنة لتعلّقها المباشر بمسيرة حياة النبي (ﷺ)، وكل ما روي من قصص السيرة النبوية ما هو إلا بعض الأقوال والأفعال التي صدرت عن النبي (ﷺ)، أو بعض التقريرات التي أقرّها (ﷺ) لِما قالها أو فعلها الصحابة الكرام رضي الله عنهم حوله، كما أن السنة عند المحدثين عبارة عن كل " ما أثر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقيّة أو خُلُقيّة, أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها " (سباعي، (د.ط)١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ؛ المرصيفي، ط.١ ،٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ صفحة ١٠٩).

ومن جانب آخر نرى أن العلماء كالإمام مالك والإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أحمد وآخرين الذين ألّفوا في الأحاديث لم تخْلُ مصنفاتهم عن ذكر ما يتعلّق بسيرة النبي (ﷺ) وخصائصه، ومناقبه, ومناقب أصحابه (أبوشهبة، ط١ ،١٩٩٢م - ١٤١٢هـ صفحة ٢٧)

علاوة على ذلك فإن هناك آيات قرآنية لا يتضح معناها ولا يمكن معرفة تفسيرها وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها " ينظر: (الواحدي، ط.٢ ، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ صفحة ٨).

فمن هذه الآيات :

قوله تعالى عن إحدى عادات الجاهلية عند عودتهم إلى منازلهم بعد الإحرام بالحج :[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [البقرة: ١٨٩] . فلا يمكن فهم حقيقة معنى هذه الآية الكريمة إلاّ من خلال الاطلاع على سبب نزولها، وهو كما رواه الشيخان عن البراء بن عازب

قال:" كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوُا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : [وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] " رواه البخاري ، باب قوله تعالى : (واتوا البيوت من أبوابها) ٤٩٤/٣.وفي التفسير باب قوله تعالى:(وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها), ومسلم في التفسير برقم (٣٠٢٦) (الجزري، ط.١، ١٩٦٩م - ١٣٨٩هـ صفحة ٣٠؛ الوداعي، ط.٢ ، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ صفحة ٣٠)

وقوله تعالى عن خصومات اليهود مع النبي (ﷺ) وأصحابه :[وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ][البقرة: ٨٠]، يقول ابن حجر" وقد أخرج الطبري عن طريق عكرمة قال : خاصمت اليهود (ﷺ) فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة، وسيخلفنا فيها قوم آخرون - يعنون محمداً وأصحابه. فقال رسول الله (ﷺ) بيده على رءوسهم " بل أنتم فيها خالدون، لا يخلفكم فيها أحد. فأنزل الله جلّ ثناؤه: :[قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً] (ابن حجر العسقلاني، ط.٢، ١٤١١ صفحة ٢٤٦)، وهذه الآية الشريفة أيضا لا يمكن فهمها الاّ بالرجوع إلى ما جرى خلال السيرة النبوية.

المطلب الثاني : الصلة بين أسباب النزول والسيرة النبوية :

هناك صلة وثيقة بين السيرة النبوية وأسباب نزول القرآن الكريم؛ لأن أسباب النزول عبارة عن قصص الحوادث التي حدثت أيام رسول الله (ﷺ) أو الأسئلة التي وُجّهت إليه (ﷺ)، فنزلت الآيات بشأنها (ابن حجر العسقلاني، ط.١، ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ صفحة ١٥)، كما أنّ جزءاً من السيرة تتعلق بالأحداث التي وقعت في عصر النبي (ﷺ)، وتعالج الإشكاليات الموجودة والتساؤلات المطروحة آنذاك، و يمكن القول بأنّ السيرة النبوية قوّام مادة أسباب النزول وأداة عملها، وأن أسباب النزول جزء من السيرة النبوية؛ لأنّ موضوعات أسباب النزول تعالج لنا مواقف الجيل التي تتمثل العصر الإسلامي الأول، أي زمن البعثة النبوية فقط، بينما السيرة النبوية تستوعب جميع مراحل الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للمجتمع العربي قبل ولادة النبي حتى وفاته (المزيني، ط١، ١٤٢١هـ صفحة ٢٠).

لذا نستطيع القول إنّ كلّ ما ذكره العلماء عن أهمية اللجوء إلى أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم تشارك فيها السيرة، فكلّ منهما يلتقيان في نقطة واحدة، وهي بيان مراد النص القرآني من خلال سياق الخلفية التاريخية التي نزلت من أجلها الآية (الدهلوي، ط.٣، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٦هـ صفحة ٥٤).

وقد أشكل على مروان بن الحكم تفسير قوله تعالى :[لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ][آل عمران: ١٨٨]، فبعث إلى ابن عباس (ﷺ) حتى يدفع عنه الإشكال؛ فقام ابن عباس(ﷺ) ببيان سبب نزول الآية، كما ورد فيما أخرجه البخاري ومسلم والترمذي : " أن مروان قال لبوّابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لإنْ كان كلُّ امرئ منّا فرِح بما أتى ، وأحبّ أن يُحمد بما لم يفعلْ معذّبا، لنُعذّبنّ أجمعون ؟

فقال ابن عباس (ﷺ) ما لكم ولهذه الآية ؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، ثمّ تلا ابن عباس :[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [آل عمران: ١٨٧-١٨٨] ؛ وقال ابن عباس (ﷺ) : سألهم النبي (ﷺ) عن شيء، فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأرَوهُ أن قد أُستُحمدوا إليه بما أخبروه عنه فما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه " أخرجه البخاري ٨ / ١٧٥ في تفسير سورة آل عمران، باب (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا)، ومسلم برقم (٢٧٧٨) في أول كتاب صفات المنافقين ، والترمذي رقم (٣٠١٨) في التفسير من سورة آل عمران، واللفظ لمسلم والترمذي .ينظر: (الجزري، ط.١، ١٩٦٩م - ١٣٨٩هـ صفحة ٧٣).

نظراً لأهمية معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم ألّف العلماء مؤلّفات مخصّصة سجّلوا فيها جمّاً غفيراً من المرويات عن أسباب النزول - بغض النظر عن مدى صحة الآثار المروية أو عدمها -، ناهيك عما ذكرها أهل الحديث و روّاة السير والمغازي في بطون كتبهم، وما أوردها المفسرون عند

تفسيرهم للقرآن الكريم، و ما اعتنى بها العلماء والباحثون كعلم من علوم القرآن. ينظر: (قدوري، ط.١، ٢٠٢٠م - ١٤٤١هـ صفحة ٤٧).

فهذه المساحة الشاسعة التي احتلّها علم أسباب النزول عند العلماء دليل على ضرورة الرجوع إليه في تفسير القرآن الكريم كما و" أن وفرة المصنفات في أسباب النزول تُعدّ نمطاً جديداً من أنماط امتزاج العلوم الاسلامية وتشابكها؛ إذ صار التاريخ - متمثلاً في علم السيرة - جزءاً لا يتَجزَّأ من علم التفسير، ينبني أحدهما على الآخر، ويستند عليها في مواضع كثيرة "ينظر: (سلامة، ط١، ١٤٣١هـ صفحة ١٢٣).

المطلب الثالث : مرجعية السيرة في معرفة أصول التفسير :

ينبغي الرجوع في تفسير القرآن الكريم إلى أصول التفسير التي هي جزء من علم التفسير، وعلم التفسير جزء لا يتجزأ من علوم القرآن، وعلوم القرآن عبارة عن" العلم الذي يتناول القرآن من حيث نزوله، وجمعه، وخصائصه، وحقوقه، وقراءته، وتفسيره على جهة التأصيل" (قدوري، ط.١، ٢٠٢٠م - ١٤٤١هـ صفحة ١٠، ١١).

فإذا كان علم التفسير جزءاً من علوم القرآن، فثمة مباحث موجودة في علوم القرآن لا مناص لعدم الرجوع إليها خلال تفسير الآيات التي يتّضح تفسيرها من خلال الأحداث والوقائع المتعلقة بسيرة النبي (ﷺ) ، وواقع الحياة الدينية والاجتماعية التي يعيشها الناس في زمنه (ﷺ).

وعليه فإن السيرة النبوية تُعدّ مرجعاً لتوثيق جوانب مهمّة من مباحث علوم القرآن، و تُعتبر رصداً تاريخياً متسلسلاً للوقائع والقضايا والغزوات التي يمكن من خلالها استخراج تأريخ نزول القرآن الكريم، وكيفية نزوله وأوقات نزوله ووقائعه، من بيان المكي والمدني والسفري والحضري والليلي والنهاري... وغير ذلك، وتاريخ التشريع، والناسخ والمنسوخ. ينظر: (الطيار، ط١ ، ١٤٢٥هـ صفحة ٤٣؛ شومان، ط١، ٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ صفحة ١٠) ، لأن كلّ هذه الأمور تتعلق مباشرة بالتسلسل الزمني الذي مرّت بها سيرة رسول الله (ﷺ)، " وهو جزء مما نُقِل عن الصحابة (رضي الله عنهم) الذين شاهدوا نزول الوحي من بيان سبب نزول

القرآن، وناسخ ومنسوخ، وتفسير مبهم، وتوضيح واقعة من كل ما طريقهم فيه الرواية عن الرسول (ﷺ)، دون الرأي وذلك مثل كون المراد من [المغضوب عليهم] اليهود، ومن [الضالين] النصارى" (العك، ط.٢ ، ١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ صفحة ٤٤).

ويلاحظ أن العلماء عند بيانهم لمواضيع المكي والمدني وكيفية النزول ومباحث الناسخ والمنسوخ يقومون بربط تأريخ نزول الآيات القرآنية بالأماكن التي كان للنبي (ﷺ) فيها حضور والأزمنة المتعلقة بحياته، و يقيّدونها بالأسلوب الخطابي القرآني الدال على الواقع الديني والاجتماعي الذي يعيشها الناس في ذلك الوقت (القطان، (د.ط) ١٩٩٥م صفحة ٥٦ ، ٥٧).

فعلى سبيل المثال : يقول الزركشي (ت٧٩٤هـ) عن مسألة (المكي والمدني):" إعلم أن للناس في المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

والثاني: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، وإن كان بالمدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

والثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكّة الكفر فخوطبوا بـ [يا أيها الناس] وإن كان غيرهم داخلاً فيها، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بـ [يا أيها الذين آمنوا] وإن كان غيرهم داخلاً فيها " (الزركشي، (د. ط)٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ صفحة ١٣٣)

فهذه المعايير التي وضعها العلماء لتسهيل الوصول إلى تفسير الآيات من حيث وقت نزولها أو كيفية نزولها وربطها مباشرة بمسيرة حياة النبي (ﷺ) والبيئة الاجتماعية التي عاش فيها، من أحد المسوغات الدالّة على مصدرية السيرة لمباحث علوم القرآن الكريم وما يتفرع منه كأصول التفسير التي تُعدّ أهم الأدوات المساعدة لتفسير القرآن الكريم.

المطلب الرابع :دلالة السياق القرآني وأثرها في تفسير القرآن الكريم:

اعتمد العلماء لتفسير القرآن الكريم على مصادر وهي: تفسير القرآن الكريم بالقرآن، ثم بالسنة النبوية الصحيحة، ثم بأقوال الصحابة لمشاهدتهم وقائع التنزيل ومعرفتهم التامة باللغة العربية، ثم بعدهم التابعين الذين تلمذّوا عند الصحابة الكرام (ﷺ)، ويعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أولى طرق التفسير وأهمها، لأن الله تعالى أعلم بمراده من غيره، وتفسير القرآن الكريم بدلالة السياق تدخل في هذه الأهمية والأولوية؛ لأن المقصود بالسياق هي فهم النص بمراعات دلالة النصوص التي تسبقه والنصوص التي تليه، وبيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق، وقد صنف بعض العلماء السياق القرآني إلى السياق اللغوي والسياق الزمني. (القاسم، (د.ط) ١٤٣١هـ صفحة ٦)

فالسياق الزمني التي نحن بصددها في هذا البحث عبارة عن ظروف الخطاب التي تُعرف عند العلماء بسياق الحال أو المقام، حيث تتولى الأحداث التي تصاحب الأداء اللغوي، ويشمل على الزمان والمكان وحال الأشخاص المتكلمين والمخاطبين الذي تشير إليها النصوص القرآنية.

ويدخل في السياق الزمني السياق التاريخي الذي يشمل الأحداث والوقائع المؤثرة لنزول الآية، والأسباب والدوافع الحافزة لظهور النص، وقد اهتم العلماء والمفسرون بالسياق الزماني في تحليل النصوص القرآنية وبيان مقاصدها، وله مكانته في علوم القرآن متمثلاً في علمي أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني، فنتمكن بواسطة علم أسباب النزول معرفة العلاقة بين أجزاء النصوص القرآنية والدوافع الخارجية التي أدت إلى نزول الآيات، كما نستطيع بمعرفة المكي والمدني التطلع على السياق التاريخي والاجتماعي الذي اخلف به الخطاب المكي عن المدني لأن الآيات المكية لها موضوعاتها، أهدافها التي تختلف بها عن الآيات المدنية. ينظر: (غنيم، ٢٠١٣م- ١٤٣٤هـ صفحة ٥٨)

فمراعات السياق القرآني ضروري في الوصول إلى المعنى المراد من الآية الكريمة، وقد نبه إليه العلماء قديماً، يقول الواحدي(ت٤٦٨هـ): " لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها, وبيان سبب نزولها" (الواحدي، ط.٢ ، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ صفحة ٨)

ويقول ابن دقيق العيد:" بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن". (السيوطي، ط.١، ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ صفحة ٧)

استوعبت السيرة النبوية الحظ الأوفر في بيان الجانب التاريخي من السياق القرآني، لأن أهم عناصر السياق الزماني الذي يتمثل في أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني يتعلقان مباشرة بحياة النبي (ﷺ) وأصحابه والبيئة التي عاشوا فيها.

ومن جانب آخر فإن هناك، مواقف وتصرفات لأشخاص أو جماعات في زمن النبي (ﷺ) ذكرها القرآن الكريم بشكل موجز اكتفاء ببيان مواقفهم دون ذكر أسماءهم وكشف هويّاتهم، قام المفسرون بكشف ذلك من خلال الرجوع إلى السياق التاريخي لتلك الآيات، والاستعانة بمرويات السيرة النبوية ومصادرها، بُغية معرفة تفصيلاتها لإصابة هدفهم في تفسير الآية، ووصولهم إلى المعنى المراد منها, ومعرفة الشخص الذي تتحدث عنه الآية الكريمة، وهذا بحدّ ذاته يتبيّن ما للسيرة النبوية من أهمية الرجوع إليها في تفسير القرآن الكريم، و تفصيل ما ورد ذكره مجملاً في الآيات القرآنية.

ومن أمثلة ذلك :

ونزول قوله تعالى :[وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا][الأحزاب: ١٣]، في أوس بن قيظي وهو أحد المنافقين، وقد كان ذلك عند معركة الأحزاب. (ابن حجر العسقلاني، ط١، ١٤١٢هـ صفحة ١٥٩؛ المعافري، ط١، ١٩٩١م - ١٤١١هـ صفحة ٢٠٧)

ونزول قوله تعالى: [الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ][التوبة: ٧٩] عبدالرحمن بن عوف وعاصم بن عدي وهم المطوعين من المؤمنين (ابن الأثير، ط١، ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ صفحة ٦٠٨؛ الواحدي، ط.٢ ، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ صفحة ٢٥٥)

فهؤلاء الأشخاص قد ذُكِرت أسماءهم من خلال روايات السيرة النبوية ضمن مصنفات أئمة الحديث وأصحاب السير والمغازي، واستشهد بها المفسرون وأوردوها في بطون تفاسيرهم مع اختلاف يسير في بعضهم، ومن هنا تأتي أهمية السيرة النبوية كمصدر لتفسير القرآن الكريم, وهو مسوغ من مسوغات مصدرية السيرة النبوية للتفسير.

المبحث الثالث:

السيرة النبوية كأساس تأريخي لتدوين التفسير:

شدّة تعلّق الصحابة الكرام بالقرآن الكريم ورغبتم العريضة لفهم معانيه وحبّهم الشديد للنبي (ﷺ) واتباع سنته في تطبيق الأحكام كان باعثاً وحافزاً على ذيوع أخبار السيرة النبوية وتدوين أحداثها التي عاشوها، وقد أكدّ الباحثون أن السيرة هي أقدم أشكال التدوين التاريخي لدى المسلمين (زسكين، ١٩٩١م - ١٤١١هـ صفحة ٦٥) ، ورجّعوا تاريخ الاعتناء بالسيرة النبوية الى عصر الصحابة الكرام وأبناءهم حيث يتناقلون شفوياً ما سمعوه وما شاهدوه من رسول الله (ﷺ) بين بعضهم البعض في المجالس الخاصة والعامة وعلى المنابر، ويستشهدون بأحداثها ووقائعها في تفسير بعض الآيات القرآنية؛ كما ويتعاملون معها أحيانا ككيان معرفي مستقلّ بذاته، روي عن علي بن الحسين (رضي الله عنه) يقول : {كنا نعلَّم مغازي رسول الله (ﷺ) كما نعلّم السورة من القرآن} (المعافري، ط١، ١٩٩١م - ١٤١١هـ صفحة ٤٣) وفيما يأتي عرض مفصّل لتأريخ تدوين السيرة النبوية واتخاذها كأساس تاريخي لكتابة تفسير القرآن الكريم:

المطلب الأول : إرهاصات الاعتماد على السيرة في تفسير القرآن الكريم:

كان تدوين السيرة النبوية في بادئ الأمر ضمن جمع الأحاديث النبوية الشريفة وكتابتها وتصنيفها، لكن بمرور الزمن صارت علماً مستقلاً بذاتهاً، يذكر الذهبي : إنه " كتب عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبي (ﷺ) علماً كثيراً، وكان يعترف له أبو هريرة بالإكثار من العلم، وقال : فإنه كان يكتب عن النبي (ﷺ) وكنت لا أكتب " (الذهبي، (د.ط) ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ صفحة ٤٢؛ العمري، ط ٦، ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ صفحة ٦٦)؛ علماً أنّ عبدالله بن عمرو ابن

عاص(ﷺ)هو أحد الصحابة الذين قد سمح لهم النبي (ﷺ) بتسجيل ما ورد عن النبي غير القرآن من سنته وسيرته وتقيد العلم بالكتابة ويعد من أكثر الصحابة رواية على الإطلاق (ابن حجر العسقلاني، ط١، ٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ صفحة ٣٩٦).

ومن أبرز الصحابة المهتمّين بمعرفة مشاهد السيرة النبوية:

أولاً: في مقدمتهم عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) : فهو مع اشتهاره بحبر الأمة ورائد المفسرين وترجمان القرآن (الحميدي، (د.ط) ٢٠٠٨م صفحة ٢٠) كان دائم البحث والتنقيب والتسجيل لسيرة رسول الله (ﷺ) ومغازيه، وعن أسباب نزول الآيات، يقول فاروق حمادة: " وكان – يعني ابن عباس – حريصاً على معرفة المغازي وحفظها، وارتبط هذا بعنايته بالتفسير ومعرفة أسباب النزول .." (حمادة، (د.ط) ٢٠٠٣م - ١٤٣٤ هـ صفحة ٧٦) ؛ وقد أورد ابن سعد في طبقاته عن أبي سلمة الخضرمي قال سمعت أبا عباس يقول: " كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله وما نزل من القرآن في ذلك" . (ابن سعد، ط١، ٢٠٠١م - ١٤٢١هـ صفحة ٢١٦؛ حمادة، (د.ط) ٢٠٠٣م - ١٤٣٤ هـ صفحة ٨٤)

ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري عن طريق عُبَيْدَ بْنَ حُنَيْنٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا أَتْمَمْتُ كَلاَمِي حَتَّى قَالَ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ. رواه البخاري في كتاب بدأ الوحي برقم (٤٩١٤). (ابن حجر العسقلاني، ط.٢، ١٤١١ صفحة ١٩٦).

ثانياً: عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه): كان أحد الصحابة الذين اشتهروا بعنايتهم بالسيرة وكتابتها، ومما يدل على احاطته بمعاني كتاب الله تعالى، ومعرفة أسباب النزول التي هي جزء من السيرة، وحرصه على كل ما يوصله إلى فهم القرآن الكريم ما روي عن مسروق قال : " قال عبدالله : والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلاّ وأنا أعلم فيما نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته " (الذهبي، (د.ط)٢٠٠٠م صفحة ٦٦).

ثالثاً: عائشة بنت ابي بكر(ﷺ): قال ابن هشام عن أبيه : " لقد صحِبتُ عائشةَ (ﷺ) ، فما رأيت أحداً قطّ كان أعلم بآية أُنزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشع، ولا أروى له بأيام العرب ولا بنسب ولا بكذا وكذا ..." (الذهبي، ط١، ١٩٩٦م - ١٤١٢هـ صفحة ١٢٨) ؛ وقد فسّرت أُمنّا عائشة (ﷺ) كثيراً من الآيات القرآنية ، وكان تفسيرها عبارة عن إجاباتها للأسئلة التي وُجّهت إليها حول معاني الآيات القرآنية من قبل الصحابة أو التابعين(ﷺ)، وقامت بمعالجتها وفق تجربتها في المعاشرة مع رسول الله (ﷺ) والبيئة الاجتماعية التي عاشت فيها. ينظر: (بدر، ط١، ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ صفحة ٤١ ، ٤٢).

وقام عدد كبير من أصحاب السنن بالرواية عنها (الأعظمي، (د.ط)١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ صفحة ١١٤)، ونقل كثير من كبار المفسرين كعلي ابن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله عباس وأبي ابن كعب وأبو موسى الأشعري (ﷺ) وآخرين مروياتها، كما استعان بها أهل السير و المغازي في توثيق أحداث السيرة النبوية، ومن أبرزهم عروة بن زبير(ﷺ). ينظر: (المزيني، ط١، ١٤٢١هـ صفحة ٣٩).

وخلاصة القول أنه هناك الكثير من الصحابة الذين سجّلوا ذكرياتهم عن رسول الله (ﷺ) وكتبوها واحتفظوا بها عندهم، ولكن اكتفينا بذكر هؤلاء الثلاث لتوازي اعتنائهم بالسيرة والتفسير في آن واحد، واعتماد المفسرين على مروياتهم أكثر من غيرهم فيما يتعلق بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومعرفة المكي والمدني الذي يتمثل في التفسير بالمأثور (السيوطي، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ الصفحات ٧٨٣ - ٧٨٥)، ولعل هذا أول مرحلة من مراحل تأسيس البنية التحتية لجمع مرويات السيرة النبوية والاستعانة بها كمصدر لتفسير القرآن الكريم من قبل مفسري الصحابة(ﷺ).

المطلب الثاني: مرحلة تدوين السيرة وانفصالها عن السنة النبوية:

تطوّرت حركة التأليف للسيرة النبوية على يد مجموعة من علماء التابعين في بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري أي منذ تأسيس الدولة الأموية، واتسمت مؤلفات السير والمغازي في هذا العصر باشتمالها على كافة المواد

العلمية التي يستوعبها العالم؛ فلم يقتصر مصنفوها على جانب محدد من السيرة كما هو الحال عند الصحابة الكرام، وإنما قاموا بإيراد كل ما يتعلق بأحداث السيرة النبوية مستشهدا عليها بآيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة، حتى أصبحت تلك المصنفات مراجع تاريخية وموسوعات علمية يستقي منها أرباب العلوم المختلفة كلَّ ما لها صلةٌ بعلومهم، فاستفاد منها علماء الحديث والتفسير والتاريخ وغيرهم على حدّ سواء (الدوري، (د.ط) ٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ صفحة ١٩).

وبلغت تدوين السيرة ذروتها في العصر العباسي حتى أصبحت علماً مستقلاً بذاتها في مصنفات جامعة ومختصة، واستمرت في نموّها على هذا النمط إلى ما بعد سقوط الدولة العباسية في مطلع القرن الرابع الهجري (هرماس، ط١، ٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ الصفحات ١٨ - ٢١).

ومما يأتي عرض موجز لأشهر العلماء المهتمين بكتابة السيرة باستقصاء مادتها في العصرين الأموي والعباسي:

فمن أبرز المصنّفين في العصر الأموي :

أولاً: عروة بن الزبير(ت٩٣هـ): أول من صنف في المغازي، بمعنى تميزها من علم الحديث وأفردها كعلم مستقل بذاتها وكان كثيراً ما اعتمد في تصنيفها على الآيات القرآنية والآثار المروية عن الصحابة الكرام كأبيه الزبير بن عوام وخالته عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) (سلامة، ط١، ١٤٣١هـ صفحة ٦٤).

ثانياً: محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ): كان من علماء عصره في الفقه والحديث والمغازي والتفسير، وكان حريصاً على طلب العلم وتقيدها بالكتابة، وأثنى عليه كثير من العلماء واعترفوا بفضله، وقد ذكر أبو نعيم الأصفهاني في الحلية أن الليث بن سعد يثني عليه ويصفه بالتبحّر في سائر العلوم كالحديث والمغازي والشعر وما يتعلق بعلوم القرآن. ينظر: (العواجي، ط١، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ صفحة ١٠٥؛ أبو نعيم الأصفهاني، (د.ط) ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ صفحة ٣٦١)

ومن العلماء البارزين للكتابة في السيرة من العصر العباسي:

أولاً: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار(ت١٥١هـ): عدّه أكثر العلماء أحد جهابذة عصره متبحّراً في المغازي وأميراً للمؤمنين في الحديث كما نعته بذلك شعبة بن الحجاج، ويقول الإمام الشافعي في وصفه : " من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن اسحاق" (ابن الخلكان، (د.ط) ١٩٧٨م - ١٣٩٨هـ صفحة ٢٧٦) ؛ وقد روى عنه أكابر العلماء من شتى العلوم الإسلامية مثل السيرة والحديث والتفسير وغيرها. (المطلبي، ط١، ٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ صفحة ٦؛ حمادة، (د.ط) ٢٠٠٣م - ١٤٣٤ هـ صفحة ٨٩).

ثانياً: مُعمّر بن راشد البصري (ت١٥٤هـ): كان مؤرخاً ومحدثاً ومفسراً، يقول عنه الذهبي " كان من أوعية العلم، مع الصدق والتحري، والورع والجلالة، وحسن التصنيف " (الذهبي، ط١، ١٩٩٦م - ١٤١٢هـ صفحة ٢٣٩)، حدّث معمّر عن كثير من علماء السيرة، ونقل عنه محمد بن عمر الواقدي في كتابه المغازي، كما روى عنه محمد بن سعد بن شهاب الزهري في طبقاته عدداً كبيراً من الأحاديث المتعلقة بالسيرة النبوية (الذهبي، (د.ط) ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ صفحة ١٩٠)، واعتمد على مروياته عبد الرزاق بن همام الصنعاني كثيراً خلال تفسيره المعروف بـ (تفسير القرآن العزيز) (هرماس، ط١، ٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ صفحة ١٧٥).

وخلاصة ما سبق أنه كتبَ في السيرة النبوية جمع غفير من العلماء خلال عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وقام أكثرهم بالاستشهاد بالآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية، بالإضافة إلى تناول كثير من كتبهم بيان معاني الآيات المتعلقة بأحداث السيرة فيمكن أن يجمع منها تفسيراً ضخماً تحت عنوان (تفسير المؤرخين). (الحميدان، (د.ط) ١٤٢٩هـ صفحة ١٣٩), وأصبح ذلك سبباً من أسباب اعتماد كبار المفسرين على مروياتهم حتى أصبحت تلك المرويات مرجعاً تاريخياً لاستقاء معاني الآيات المتعلقة بالسيرة النبوية منها، كما أن أغلب مفسري القرآن المبكرين كعبد الرزاق الصنعاني مثلاً قد تلمّذوا مباشرة على كبار مدوني السيرة النبوية، ونقلوا عنهم كثيراً ضمن تفاسيرهم، وهذا بحدّ ذاته يبيّن ما للسيرة

النبوية من أهمية الرجوع إليها في بيان تفسير القرآن الكريم، وهي أحد المسوّغات الدالة على مصدرية السيرة لتفسير القرآن الكريم.

المطلب الثالث: استعانة كبار المفسرين بمرويات أهل السير:

تبيّن في الفصول السابقة أن الأسلوب القرآني المجمل في عرض مشاهد السيرة النبوية نهض كأحد العوامل الباعثة على ظهور نزعة البحث والتنقيب في أحداث السيرة النبوية لدى العلماء والباحثين قديما وحديثا، وبالتالي فإن امتزاج السيرة وتساهمها مع كثير من العلوم التي يعتمد عليها المفسرون لاستقاء مادتهم التفسيرية من الآيات القرآنية كعلم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وتحديد المكي والمدني، ومعرفة تأريخ التشريع الاسلامي، قد أفضى إلى الاستعانة بالسيرة النبوية ومرويات أهل السير كمصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم بجوار المصادر الأخرى.

وقد نشأ هذا الوعي المعرفي تجاه ضرورة الرجوع إلى السيرة النبوية منذ عهد الصحابة الكرام وتلاميذهم إلى أن وصل إلى القرن الثالث الهجري بعدما انفصل علم التفسير عن الحديث على أيدي مجموعة من المفسرين الكبار كعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) ، وآدم بن أبي ياس (٢٢٢هـ) ، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) وعبد بن حميد الكُشّي (٢٤٩هـ) وآخرين.

فهؤلاء العلماء جمعوا في تفاسيرهم أقوال الصحابة والتابعين، وسلكوا مسلكهم في الاعتماد على مرويات السيرة النبوية.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري جاء محمد بن جعفر بن جرير الطبري (٣٠١هـ) ، ومحمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري (٣١٨هـ)، وعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ) وقد استفادوا من تجارب من سبقوهم في تفسير القرآن الكريم، مع الاعتماد التام على مرويات أهل السير والمغازي في توثيق رواياتهم عن السيرة النبوية وعن بعض الأقوال والآراء التفسيرية. ينظر: (السيوطي، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ صفحة ٧٨٨)

ولثبوت مدى اعتماد المفسرين على مرويات علماء السيرة نلقي نظرة سريعة على تفسير كل من المفسرين الذين جاءوا في نهاية القرن الثالث الهجري من خلال بالشكل الآتي:

أولاً: عدد روايات السيرة وأبرز وروّاتها في التفاسير الثلاث:

الطبري وابن أبي حاتم وابن منذر:

نقل هؤلاء المفسرون مجموعة من الأقوال والآراء التفسيرية المتعلقة بالسيرة وغيرها من علماء السير والمغازي ضمن تفاسيرهم، ورووا عنهم روايات تاريخية كثيرة لا يستهان بها.

فمن خلال جرد لسورتي الأنفال والتوبة من جزئي الثالث عشر والرابع عشر في تفسير الطبري، بتحقيق محمود محمد شاكر.

ومن خلال جرد لسورتي النور والفرقان من الجزء الثامن، في تفسير ابن أبي حاتم بتحقيق أسعد محمد الطيب، وجرد للجزئيين الأولين في تفسير ابن المنذر الذي يبدأ من الآية (٢٧٢) من سورة البقرة وينتهي من الآية (٩٢) من سورة النساء ، بتحقيق سعد بن محمد السعد، نلاحظ أنه تبلغ ما يرويها الإمام الطبري عن طريق علماء السيرة (٥٢٢) رواية، من مجموع (١٨٦١) رواية بين المكرر وغيرها، وما يرويها الإمام بن أبي حاتم عن طريق علماء السيرة تبلغ (١٦٩) رواية من مجموع (١٤٣٥) رواية بين المكرر وغيرها.

وتبلغ الروايات التي رواها الإمام ابن المنذر(٤٢٨) رواية من مجموع (٢١٠٩) رواية بين المكرر وغيرها، وهذه النتائج استنتجت من خلال جرد لجزء أو جزئيين من كل تفسير فقط ، وإذا قمنا بإجراء جرد شامل للأجزاء الباقية منها فستجمع لدينا كَومةً كبيرة من مروياتهم.

ويبلغ عدد رواة السيرة الذين روى عنهم المفسرون الأجلاء الثلاث أكثر من ست عشر راوياً من بين المقلين والمكثرين من حيث الرواية، ومن أبرزهم:

عروة بن الزبير (ت٩٤ هـ).

محمد بن كعب بن سليم القرظي (ت١١٨ هـ).

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤ هـ).

محمد بن اسحاق بن يسار (ت١٥١ هـ).

المعتمر بن سليمان التميمي (ت١٨٧ هـ).

اعتماد عمدة المفسرين على هؤلاء الرواة وغيرهم من أرباب السيرة ورواتها في توثيق رواياتهم عن السيرة، واستشهادهم بأقوالهم التفسيرية دليل على ثقتهم بهم، وشاهد على جلالة قدرهم، وتبحّرهم في شتى العلوم والفنون بجانب تخصّصهم في علم السير والمغازي، وأحد المسوغات الدالة على ضرورة الرجوع إلى السيرة النبوية ومرويات أصحابها في تفسير القرآن الكريم.

ثانياً : نماذج من مرويات أهل السير عند المفسرين الثلاث:

يشترك الأئمة المفسرون الثلاث في روات الذين ذكرت أسماءهم، وروى كل عنهم عدداً كبيراً من الروايات ولكننا نقتصر بالاستشهاد لكل مفسر بروايتين:

مرويات علماء السيرة في تفسير الطبري:

عروة بن الزبير (ت٩٤هـ):

حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهري عن عروة في قوله تعالى: [لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ][التوبة: ١٠٨]، قال: الذين بُني فيهم المسجد الذي أسّس على التقوى، بنو عمرو بن عوف. (الطبري، ط١، ٢٠٠٠ م - ١٤٢٠ هـ صفحة ٤٧٩/١٤)، استعان الإمام الطبري بمرويات عروة بن الزبير(رضي الله عنه) لمعرفة من شاركوا في بناء مسجد قباء بالمدينة المنورة.

مرويات علماء السيرة في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:

المعتمر بن سليمان التميمي (ت١٨٧هـ):

حدثنا عبدالرزاق الأصبهاني، حدثنا هريم بن عبد الأعلى، حدثنى المعتمر، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً استأذن نبي الله (ﷺ) في امرأة يقال لها أم مهزول، كانت تسافح، وتشترط أن تنفق، وأنه استأذن نبي الله (ﷺ) أو ذكر له أمرها، قال: فقرأ نبي الله (ﷺ): [الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] [النور: ٣]. (ابن أبي حاتم، ط١، ١٩٩٧ م - ١٤١٧هـ صفحة ٢٥٢٥/٨),استعان الإمام ابن أبي حاتم عند تفسير هذه الآية وبيان مراد الله تعالى فيها بما رواه أحد علماء السيرة, وقام بتخصيص مدلول الآية من خلال كشف هوية المرأة التي أنزلت الآية من إثرها.

مرويات علماء السيرة في تفسير القرآن لابن منذر النيسابوري:

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ):

حدّثنا زكريا، قال: حدّثنا أحمد بن نصر، عن أبي عباد قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري قال: لمَا نزلت هذه الآية: [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا] [الفتح:٤]، قالوا يا رسول الله: قد علمنا أنّ الإيمان يزداد، فهل ينقُص؟ قال (ﷺ): إيْ والذي بعثني بالحقّ إنه لينقص! قالوا يا رسول الله: فهل في ذلك دلالة في كتاب الله؟ فقال(ﷺ) نعم، ثم تلا رسول الله (ﷺ): [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...][آل عمران: ١٤٤]، فالانقلاب نقصان،ولا كفر. (ابن المنذر النيسابوري، ط١، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ صفحة ٤١٦/١)، استعان الإمام ابن المنذر في بيان هذه المسألة العقدية بما أورده الزهري من الحدث التاريخي التي وقعت زمن النبي (ﷺ) والحوار التي دارت بين النبي (ﷺ) وأصحابه حول هذه المسألة.

محمد بن اسحاق بن يسار (ت١٥١هـ):

حدّثنا علي بن عبد العزيز، قال حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، عن محمد بن اسحاق، قال: لمّا أصاب الله قريشاً يوم بدرٍ جمع رسول الله (ﷺ) يهوداً في سوق بنو قينقاع حين قدم المدينة فقال: ((يا معشر يهود ، أسلموا قبل ان يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً)) فقالوا له : يا محمّد لا يغُرَّنَّك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال إنّا - والله - لو قاتلتنا لعرفتَ أنّا نحن الناس، وأنّك لم تلقَ مثلنا، فأنزل الله في ذلك من قوله: [قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ] [آل عمران: ١٢-١٣]. (ابن المنذر النيسابوري، ط١، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ صفحة ١٣٧/١) بين الإمام ابن المنذر مراد الله تعالى في هذه الآية الكريمة من خلال الحدث التاريخي التي وقعت آنذاك وتسببت نزول هذه الآية الكريمة.

فهذه النماذج من الروايات التي نقلها المفسرون في تفاسيرهم دليل على عظمة قدر رواتها لديهم، كما أن اعتمادهم على علماء السيرة، والرجوع إلى مروياتهم لبيان دلالة الآيات من خلال سياقها اللفظي أو التاريخي أحد أهم المسوغات الدالة على مصدرية السيرة النبوية لتفسير القرآن الكريم.

الخاتمة :

يمكن تلخيص أهمّ النتائجِ التي تُستخرَج من البحث في النقاط الآتية :

استعان المفسرون بمجموعة من المصادر كالقرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين لبيان دلالات الآيات القرآنية وتفسير معانيها، فتندرج السيرة تحت هذه المصادر لتوفر عدد من المسوغات الدالة على مصدريتها كمشاركة السيرة مع السنة في سرد الوقائع التاريخية التي أنزلت الآيات لمعالجتها، واشتمالها على مرويات أسباب النزول ومبادئ أصول التفسير، واعتماد العلماء والمفسرين عليها كأساس تاريخي ومرجع تفسيري في معرفة مراد الله تعالى من خلال تحليل السياقات القرآنية.

السيرة عند العلماء عبارة عن العلم الذي يبحث في حياة النبي (ﷺ) من مولده إلى وفاته، والأحداث التي وقعت في حياته أو سبقت ولادته بزمن قريب، مع التعرف بنسبه الشريف، ونشأته، وبعثته، ومعجزاته، ومراحل دعوته، وأخلاقه، والغزوات التي خاضها (ﷺ).

أما السنة فقد عرفها المحدّثون بأنها: ما أضيف إلى النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقيةٍ أو خُلُقية، أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها، وقد عدوا السيرة في ضمن تعريف السنة؛ لأنها بنظرهم أعم من السيرة، أما تعريف السنة عند الأصوليين عبارة عن كل ما ثبت عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير، ولم يندرجوا السيرة في تعريف السنة.

مَردّ الاختلاف بين أهل الحديث والأصوليين في اندماج السيرة ضمن تعريف السنة وعدم اندماجها راجع إلى الأغراض التي تعنى بها كل فئة من أرباب العلم، فالمحدثون نظروا إلى النبي (ﷺ) كقدوة يقتدى به في جميع شؤون الحياة سواء في الأمور الدنيوية أو الدينية أو مما يبنى عليها الأحكام الشرعية أولا، أما الأصوليون فيرجعون فقط إلى السنة التي تستنبط منها المسائل الفقهية وتثبت بها الأحكام الشرعية؛ لأنهم ينظرون إلى النبي كمشرع للقواعد الشرعية التي تبنى عليها الأحكام فيدخل في ذلك السنة التشريعية فقط دون التصرفات البشرية للرسول (ﷺ).

للسيرة النبوية دور مهم في تفسير الآيات القرآنية التي أنزلت بسبب واقعة حدثت أو لمعالجة مشكلة طرئت، وأنها تُساهِمُ السنة النبوية في هذه المهمة وتشاركها؛ فكلّ منهما يتمحوران حول شخصية الرسول وحياته والبيئة الاجتماعية التي عاش فيها، والسنة أعم من السيرة؛ لأن السيرة سرد للأحداث والوقائع التي وقعت خلال حياة النبي أو قبله بقريب مع وصف خصائل النبي وأخلاقه وخصائصه كقصص مجردة، دون أن يبنى عليه الأحكام الشرعية، أما السنة فهي تشمل مميزات السيرة مع بناء الأحكام الشرعية عليها.

كانت السيرة بمثابة مرجعٍ لكثير من المباحث المتفرعة من علوم القرآن وأصولِ التفسير؛ التي يجب الاعتماد عليها عند القيام بتفسير القرآن الكريم, مثل علم أسباب النزول ومعرفة تاريخ التنزيل، ومعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك، فمرجعية السيرة لتلك العلوم مسوغ من مسوغات السيرة لتفسير القرآن الكريم.

مراعات السياق القرآني ضروري في الوصول إلى المعنى المراد من الآية الكريمة سواء كان سياقاً لغوياً أو زمنياً، وقد نبه إليه العلماء قديماً، وأكدوا عليه، فالسياق الزمني الذي نحن بصددها في هذا البحث عبارة عن ظروف الخطاب التي تُعرف عند العلماء بسياق الحال أو المقام، حيث تتولى الأحداث التي تصاحب الأداء اللغوي، ويشمل على الزمان والمكان وحال الأشخاص المتكلمين والمخاطبين الذي تشير إليه الآيات القرآنية.

تستعمل السيرة النبوية من قِبَلِ العلماء والمفسرين كمُذكّرة تاريخية لرصد التسلسل التاريخي للآيات التي تتحدث عن مشاهد السيرة، ولمعرفة تفصيل ما اختُصر ذكرهُ في القرآن الكريم حولَ كثيرٍ من المواقف والتّصرفات التي اصدرت من أشخاص بعينهم أو من فئاتٍ وجماعاتٍ، كما يتمُّ الرجوع اليها لمعرفة أسمائهم والاطّلاع على هويّاتهم.

تُعَدّ السيرة النبوية أقدم أنواع التدوين عند المسلمين، ويرجع تاريخ كتابتها والاعتناء بها إلى عصر صدر الاسلام، فكانت بوادر تدوينها في إطار كتابة السنة، ثمّ أَخذت استقلاليتها بمرور الزمن حتى أصبحت علما مستقلاً بذاتها، وتغيرت مجراها من روايات متفرقة إلى قصص تاريخية متسلسلة.

مرّ تدوين السيرة وكتابتها بمراحل مختلفة، وقد تطوّرت أساليب كتابتها بتطور الزمان وتنوعت منهج المصنفين فيها بعد بروز طور تحديد الاختصاص في العلوم والمعارف.

رجوع العلماء إلى مصادر السيرة واعتماد المفسرين المعتبرين على علماء السيرة في توثيق رواياتهم عن السيرة، واستشهادهم بأقوالهم التفسيرية كان دليلاً على ثقتهم بهم، وشاهداً على تبحّرهم في شتى العلوم والفنون بجانب تخصّصهم في علم السير والمغازي، كما أنه من أحد المسوغات الدالة على ضرورة اللجوء إلى السيرة وروايات علماء السير والمغازي لفهم الآيات وتفسير القرآن الكريم، ولا سيما الآيات التي أنزلت إثر الأحداث والوقائع.

الهوامش:

أويس بن قيظي بن عمر بن جشم بن حارثة بن الحارث بن أوس الأنصاري ، والد عرابة ، شهد أحداً هو وابناهُ عرابة و عبدالله، وهو أحد المنافقين شديد البغض والحسد على المسلمين، وهو الذي قال إن بيوتنا لعورة. ينظر: (ابن الأثير، ط١، ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ صفحة ٨٦؛ ابن حجر العسقلاني، ط١، ١٤١٢هـ صفحة ١٥٩)

المطوعين من المؤمنين هم عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي وهو: عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة يكنى بأبي عمر ويقال أبو عبد الله ، شهد بدراً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله توفي سنة (٤٥) . (ابن الأثير، ط١، ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ صفحة ٦٠٨؛ ابن حجر العسقلاني، ط١، ١٤١٢هـ صفحة ٥٧٢).

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم.

- ابن أبي حاتم، محمد عبدالرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد طيب تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٩٩٧ م - ١٤١٧هـ.

- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ .

- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ،بيروت، مكتبة الحلواني، ط.١، ١٩٦٩م - ١٣٨٩هـ .

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط.١، ١٤١٢هـ .

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، تهذيب التهذيب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ .

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت، دار ابن حزم، ط.٢٠٠٢،١م - ١٤٢٢هـ .

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ط.٢، ١٤١١ .

- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ط) ١٩٧٨م - ١٣٩٨هـ .

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبيرى، تحقيق: د.علي محمد عمر الزهري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١،٢٠٠١م - ١٤٢١هـ .

- ابن المنذر النيسابوري، محمد بن إبراهيم، كتاب تفسير القرآن، تحقيق: د.سعد بن محمد السعد، المدينة المنورة، دار المآثر، ط١، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.

- الأعظمي، د.محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، بيروت، المكتب الإسلامي، (د.ط) ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ .

- أبوشهبة، محمد بن محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ .

- أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الفكر، (د.ط) ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ .

- الباتلي، خالد بن عبد العزيز، التفسير النبوي، الرياض، دار الكنوز اشبيليا، ط١،٢٠١١ م - ١٤٣١هـ.

- بدر، عبدالله أبو السعود، تفسير أم المؤمنين عائشة، رياض، دار عالم الكتاب، ط١، ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ .

- الحميدان، د.عصام بن عبد المحسن، من مصادر التفسير السيرة النبوية، مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية، العدد ٢٧،١٤٢٩هـ.

- الحميدان، عصام بن عبد المحسن، السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ط)،(د.س).

- حمادة، د.فاروق، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ديمشق، دار القلم، (د.ط) ٢٠٠٣م- ١٤٣٤هـ .

- الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، المكة المكرمة، جامعة أم القرى، (د.ط) ٢٠٠٨م .
- الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، إعداد وتعريب: محمد بدر البدخشاني، كراتشي، بيت العلم، ط٣،٢٠٠٦ م - ١٤٢٦هـ .
- الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢،٢٠٠٧م .
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سيرأعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١،١٩٩٦م - ١٤١٢هـ .
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، كتاب تذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط) ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ .
- الذّهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة، (د.ط)٢٠٠٠م .
- الزركشي، محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، القاهرة، دار الحديث، (د. ط) ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ .
- زسكين، د،فؤاد، تاريخ التراث العربي، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية، (د.ط) ١٩٩١م - ١٤١١هـ.
- سباعي، د.مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر، بيروت، المكتب الإسلامي، (د.ط) ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ .
- سلامة، محمد يسرى، مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تدوين السيرة، القاهرة، دار الجبرتي و دار الندوة، ط١، ١٤٣١هـ .

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الارنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١،٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن كمال، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١،٢٠٠٢م- ١٤٢٢هـ.

- شومان، د.عباس، مصادر التشريع الإسلامي، القاهرة، دار الثقافة، ط١، ٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠ م - ١٤٢٠ هـ.

- الطيار، مساعد بن سليمان، المدخل إلى موسوعة التفسير بالمأثور، من منشورات مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، بيروت، دار ابن حزم، ط١،٢٠١٧م - ١٤٣٩هـ.

- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، الرياض، دارالمحدث، ط١، ١٤٢٥هـ.

- العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، بيروت، دار النفائس، ط٢، ١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ.

- العمري، د.أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ٦، ١٩٩٤م - ١٤١٥هـ.

- العواجي، د.محمد محمد، مرويات الإمام الزهري في المغازي، المدينة المنورة، مكتبة ملك فهد الوطنية، ط١، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ.

- الغوري، سيد عبد الماجد السنة النبوية, حجيتها وتدوينها، دمشق، دار ابن الكثير، ط١، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ .
- القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، القاهرة، مكتبة الوهبة، (د.ط) ١٩٩٥م .
- المرصيفي، د.سعد، الجامع الصحيح للسيرة النبوية، القاهرة ، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ .
- المزيني، خالد بن سليمان، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، الدمام، دارالجوزي، ط١، ١٤٢١هـ .
- المطلبي، محمد ابن إسحاق بن يسار، السيرة النبوية لابن إسحاق، تحقيق وتعليق وتخريج : أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ .
- المعافري، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: سعدي طه عبد الرؤوف، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩م - ١٤١١هـ .
- الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام، دار الإصلاح، ط.٢، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ .
- الوداعي، مقبل بن هادي الصحيح المسند من أسباب النزول، صنعاء، مكتبة صنعاء الأثرية، ط٢، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ .
- قدوري، غانم قدوري الحمد، الميسر في علوم القرآن، منشورات مركز الدراسات والعلوم القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، معهد الإمام الشاطبي، ط١، ٢٠٢٠م - ١٤٤١هـ .

- كولن، فتح الله، السنة النبوية تقيدها ومكانتها في الشريعة الإسلامية، القاهرة، دار النيل،ط٣، ٢٠٠٥م - ١٤٢٥هـ .

- هرماس، د.عبدالرزاق، مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، المغرب، كلية الآداب - جامعة ابن زهران ,ط١، ٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ .

- القاسمي، جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، الدمشق، دار صادر، (د.ط)،(د.ت).

- عبد الهادي، د.عبدالمهدي عبد القادر، المدخل إلى السنة النبوية، القاهرة، مكتبة الإيمان، (د.ط) ٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ.

- غنيم، د.عادل رشاد، المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، الرياض، كرسي القرآن الكريم وعلومه، ٢٠١٣م- ١٤٣٤هـ.

- القاسم، د.عبدالحكيم بن عبد الله، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، أطروحة دكتوراه، الرياض، دار التدمرية، (د.ط) ١٤٣١هـ.

پوختەی توێژینەوە

ئەم توێژینەوەیە بەشێکە لە نامەی ماستەر بە ناونیشانی (پشت بەستن بە ژیاننامەی پێغەمبەرلە ڕاڤەکردنی قورئانی پیرۆزدا)، وە هەوڵ دەدات تیشک بخاتە سەر پشتڕاستکەرەوەکانی بە سەرچاوە بوونی ژیاننامەی پێغەمبەر (ﷺ)، مەبەستمان لە پشتڕاستکەرەوەکان ئەو بەڵگانە یە کە دەسەلمێنن ژیاننامەی پێغەمبەر(ﷺ) و ڕیوایەتەکانی بەشداری دەکەن لە ڕاڤەی قورئانی پیرۆزدا لەگەڵ سەرچاوەکانی تری وەکو قورئان و سوننە و وتەی هاوەڵان وشوێنکەوتەکانیان.

لە نوسینی ئەم توێژینەوەیەدا پشت بەستراوە بە ڕێگای شیکاری کە وەستاوە لە سەر ڕوونکردنەوە وهەڵێنجان بە کۆکردنەوەی زانیاریە پەیوەستەکان بە زانستی ژیاننامە، لەگەڵ پۆلێن کردن وشیکردنەوەی یەشەکانی پەیوەست بە بابەتەکە، ئەمەش لە ڕێگای هێنانەوەی بەڵگە گەلێک لە قورئانی پیرۆز و فەرمووەدەی پێغەمبەر(ﷺ) وچەند گێڕانەوەیکی مێژوویی، لەوێشەوە دەسنیشان کردنی پەیوەندی نێوان ژیاننامە و سوننەتی کردەیی پێغەمبەر(ﷺ) کە ڕاڤەکارانی قورئان بۆ دیاریکردنی تێگەیشتن لە دەقدا دەگەڕێنەوە بۆ لایان بە چاودێری کردنی ئاماژەی ناوبەندی ئەو دەقانەی پێشی کەوتوون و ئەوانەش کە لەدوایەوە هاتوون، یان لە میانەی ناوبەندە مێژووییەکەی وەکو زانستی هۆکاری دابەزین و مەککی و مەدەنی و لادەرو لادراو، وە بە ئاماژە کردن بۆ تێکۆشانی زاناینی ژیاننامەناسی لە ڕوونکردنەوەی ئایەتەکان لە میانەی گێڕانەوەکانی ژیاننامەی پێغەمبەر(ﷺ) کە ئەمەش وای کردووە ڕاڤەکاران پشت ببەستن بە گێڕانەوەکان و وتەڕاڤەکاریەکانیان، کە کۆی ئەوانی باسمان کردن بەڵگەگەلێکی پشت ڕاست کەرەوەن لەسەر بە سەرچاوە بوونی ژیاننامەی پێغەمبەر(ﷺ) بۆ ڕاڤەکردنی قورئانی پیرۆز.

وشە کلیل : بەڵگەکان ، سەرچاوەبوونی ژیاننامەی پێغەمبەر، ڕاڤە، قورئانی پیرۆز.

Abstract:

This research is part of a master's thesis tagged with (Using the Prophet's biography to clarify the interpretation of the Noble Qur'an), and it comes with the aim of shedding light on the justifications indicating the source of the biography. Companions and followers.

The analytical method was based on clarification and deduction, by collecting information related to biography, with its classification and analysis of its parts related to the topic of research, by providing evidence from the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah and historical monuments, and then determining the relationship between the biography and the actual applied Sunnah, which is the interpretation The practical interpretation of the Noble Qur'an by the Prophet (p.b.h), as well as the relationship between the biography and other sciences to which the commentators refer to determine the concept of the text by taking into account the significance of the texts that precede it and the texts that follow it or through its historical context, such as the knowledge of the reasons for revelation and knowledge of Mecca, Medina, abrogating and abrogated, and referring to the efforts of scholars The biography in explaining the meanings of the verses through the narratives of the biography, which led the commentators to depend on their narratives and explanatory sayings.

Keyword: the evidence of the source of the biography of the prophet , the interpretation, the holy Quran.